دور الشائعات المغرضة في إذكاء النقد الاجتماعي غير المسئول

وأثر ذلك على تجذير منابع فكر التطرف والإرهاب

إعداد

الأستاذ الدكتور عطية عبد الحليم صقر

الأستاذ بكليات الشريعة في جامعات
الأزهر بالقاهرة، وأم القرى بمكة المكرمة
والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

في تحديد مصطلحات البحث وفكرته ومحاوره

لتحديد المصطلحات في كل بحث علمي أهمية بالغة، ترجع إلى أمور منها:

١-معايشة القارئ للباحث في فكره ومراده، فيما يسطره ويدونه في بحثه.

٢-تخصيص العام وتقييد المطلق، وتعيين مقصود الباحث من كل مصطلح.

٣-إغلاق الباب أمام الاجتهادات الفردية وحمل كلام الباحث أو تأويله على غير مراده.

وانطلاقاً من هذه الاعتبارات فإن لدينا في هذا البحث نحواً من ست مصطلحات رئيسة، سوف نعني في هذه المقدمة بتحديد مدلولها ومعناها من وجهة نظرنا، والتي من حق القارئ أن يخالفنا الرأي فيها، دون أي اتهام متبادل من أيّنا بالخطأ أو بمجانبة الصواب؛ إذ من شأن البحوث النظرية عموماً أن تختلف فيها وجهات النظر، ودون الإطالة في هذا الشأن فإن المصطلحات التي نقصدها هي:

١-الشائعة (الإشاعة).

٢-االشائعة المغرضة.

٣-الإذكاء.

٤-النقد الاجتماعي.

٥-النقد الاجتماعي غير المسئول.

٦-التطرف والإرهاب.

أولاً: الشائعة (الإشاعة):

(١) جاء في المعجم الوجيز [١] أن الإشاعة هي: الخبر ينتشر غير متثبت منه، والإشاعة مصدر للثلاثي شاع، يقال: شاع الخبر شيوعاً ومشاعاً وإشاعة ظهر وانتشر. ويقال: شاع بالشيء: أذاعه.

وجاء في المعجم نفسه أن الشائعة هي: الخبر ينتشر ولا تثبت فيه، والشائعة مفرد جمعه شوائع، وماضيه أشاع، يقال: أشاع الشيء وأشاع به: أظهره ونشره، وعليه:

فإننا نرى: أن هناك فارقاً دقيقاً بين الإشاعة والشائعة؛ فالإشاعة خبر مجهول المصدر ينتشر بين الناس، وهو غير متثبت منه، أما الشائعة فإنها خبر معلوم المصدر، ومن ثمَّ فإنها يمكن تتبعها والوصول إلى مصدرها وتوقيع الجزاء المناسب عليه، والحد من خطرها، خلافاً للإشاعة فإنها في أصلها مجهولة المصدر وخطرها أعظم.

ومع وجود هذا الفارق الدقيق فإن بين الشائعة والإشاعة عموم وخصوص نسبي من وجهين، فهما يلتقيان في كون كل منهما خبرا ينتشر دون دليل من الواقع يدل عليه، كما يلتقيان من وجه آخر هو إمكانية الوصول إلى فاعل أو مصدر الإشاعة والشائعة حيث يقال: شاع بالخبر: أذاعه، كما يقال: أشاع به: أظهره ونشره، غير أنهما يختلفان من حيث الأصل في كون الإشاعة

---

(١) المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - مادة (شاع) ص٣٥٧.

في الغالب: هي الخبر ينتشر بلا مصدر معلوم حال كونه غير متثبت منه، أما الشائعة فإن مصدرها في الغالب معلوم غير مجهول ولكنه غير متثبت فيه، حيث يقتصر دور من شاع بالخبر وأذاعه في الإشاعة على مجرد النشر والتهويل والترويج، أما في الشائعة فإن دور من أشاع بها يمتد إلى اختلاق الخبر ونشره وإظهاره، وتطبيقاً لذلك:

فإن حديث الإفك الوارد ذكره في سورة النور في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[1] كان بالنسبة للعصبة الذين جاءوا به إشاعة، بينما كان بالنسبة لمن تولى كبره ونشره وتهويله وترويجه شائعة، ثم هو بالنسبة لكلا الفريقين إفكا (كذبا وافتراء وخديعة وقلب الأمر عن وجهه الصحيح) [2].

(٢) ويقرر البعض [3] أنه لا يوجد في معاجم اللغة العربية القديمة تعريف للإشاعة بمفهومها ومسماها المعاصر، وينتهي إلى القول بأنها تعني: الجانب السلبي للخبر المشاع وأن معانيها اللغوية العديدة تتضمن قاسما مشتركاً واحداً هو: التكاثر والتزايد وسعة الانتشار وسرعته.

(٣) وأما المعنى الاصطلاحي للشائعة أو الإشاعة: فإنها في لغة الإعلاميين تعني: "فكرة خاصة ليؤمن بها الناس، تنتقل من شخص إلى آخر بواسطة الكلمة، دون استناد إلى دليل أو شاهد" [4].

---

(١) الآية ١١ من سورة النور.

(٢) المعجم الوجيز، مادة (أفك) ص٢٠، مرجع سابق.

(٣) أ. محمد بن دغش سعيد القطحاني - الإشاعة وأثرها على أمن المجتمع - دار طويق للنشر بالرياض - ط١ - ١٤١٨، ص١١.

(٤) د/ محمد فوزي عبد الحميد - نحو اتصال دولي جديد - مكتبة الوادي للتوزيع - جدة، ص٢٣٣.

وقريباً من ذلك عرفها البعض بقوله [١]: "فكرة خاصة يعمل رجل الدعاية على أن يؤمن بها الناس، كما يعمل على أن ينقلها كل شخص إلى الآخر حتى تذاع بين الجماهير" وانتهى البعض إلى تعريفها بقوله: "أسلوب من أساليب الحرب النفسية، وهي رواية لخبر مختلق، أو سرد لخبر يحمل جزءاً من الحقيقة بقصد التأثير النفسي في الرأي العام بحملات الهمس أو بوسائل الإعلام من أجل تحقيق جملة من المكاسب" [٢].

ثانياً: الشائعة المغرضة:

هذا هو المصطلح الثاني الذي يعنى البحث بتحديد مدلوله ومعناه من وجهة نظر الباحث وهو يعني: الشائعة التي تهدف إلى إحداث فتنة طائفية بين طوائف الشعب الواحد، أو فرقة وعداوة بين شعوب الأمة الواحدة، وتدمير وتفتيت للقوى المعنوية لدى الجماهير المتلقية لها، أو إلى دغدغة الانتماء الوطني لدى شباب الدولة، أو إلى إثارة الحقد و الكراهية بين الحكام والمحكومين، أو إلى إثارة عواطف الجماهير وبلبلة أفكارهم خاصة في أوقات الحروب والأزمات، وبالجملة فإن الشائعة المغرضة هي التي يستطيع مصدرها ومثيرها تحقيق أغراض ومصالح خاصة على حساب الجمهور الذي تنتشر في أوساطه. وسوف يأتي مزيد من التفصيل لها.

ثالثاً: الإذكاء:

الإذكاء بالذال من الثلاثي (ذكا) كما ورد في المعجم الوجيز بمعنى الإشعال، يقال: ذكت النار ذكُوًّا وذكاً وذكاءًا: اشتد لهيبها واشتعلت، ويقال:

---

(١) د/ محمد عبد القادر حاتم - الإعلام والدعاية - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٧٨م، ص١٧٩.

(٢) أ. محمد بن دغش القحطاني، ص١٢، مرجع سابق.

ذكت الشمس: اشتدت حرارتها، وذكت الحرب: اتقدت وأذكى النار أوقدها، وأذكى الحرب: أشعلها [١]، والمعنى المراد هنا لا يخرج عن هذه المعاني، فإذا قلنا: دور الشائعات المغرضة في إذكاء النقد الاجتماعي غير المسئول، فإن المراد هو دورها في إشعال واشتداد وإيقاد لهيب وحرارة النقد الاجتماعي غير المسئول.

رابعاً: النقد الاجتماعي والنقد الاجتماعي غير المسئول:

يطلق النقد ويراد به اختبار الشيء لتمييز جيده من رديئه، يقال: نقد الحديث: أظهر ما فيه من حسن أو عيب، وخروجاً عن هذا الأصل فإن غالب استعمال العامة للنقد، في إظهار العيب فقط دون المحاسن والميزات حيث يقال: فلان ينقد الناس، أي: يعيبهم ويغتابهم [٢]، وفلان ينتقد الشعر على قائله: أي يظهر عيبه، والناقد هو: من يقوّم العمل، وجمعه نقّاد، ونقدة، والمراد بالنقد الاجتماعي هنا: النقد الذي يتحول فيه كل مواطن وكل مقيم إلى ناقد خبير بصير بكل أوضاع المجتمع وعلى كل الأصعدة والمستويات في المنزل والأسرة والمدرسة والجامعة والشارع والنادي والشلّة، النقد الذي تروج في ظله الإشاعة المغرضة وتشتد حرارتها على كل لسان، بحيث تصبح غالبية أفراد المجتمع أبواقاً لنشرها.

أما النقد الاجتماعي غير المسئول فهو الذي بولد ويترعرع في ظل ما يعرف بالرأي العام المنساق أو المنقاد، وهو الذي يتسيده روح القطيع المنساق وراء الشائعات باعتبارها ظاهرة اجتماعية وأداة رئيسة من أدوات الحرب النفسية تهدف إلى بث الذعر والكراهية وتحطيم الروح المعنوية وإثارة عواطف الجماهير وبلبلة أفكارهم، عن طريق تصيد خبر أو معلومة أو واقعة

---

(١) المعجم الوجيز، مادة (ذكا) ص٢٤٥، مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه، ص٦٢٩.

أو حادثاً صغيراً وتضخيمه ليصبح فتنة ووقيعة، أو معالجته بطريقة انفعالية وإحكام صياغته لفظياً ومعنوياً بما ييسر على الجماهير فهمه ويسهل سريانه كشائعة مغرضة، ينساق وراءها السواد الأعظم من الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو العالمي المستهدف بها.

إن النقد الاجتماعي غير المسئول هو الذي لا يعرف فيه أفراد القطيع المنساق وراء الشائعات المغرضة، صدق أو كذب الشائعة، ولا مصدر أو هدف ما يرددونه منها، هو الذي لا يدرك مسئولية الكلمة، هو الذي زين له سوء عمله فرآه حسنا، هو الذي: اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، إنه النقد الذي يحول النور إلى ظلام، والأمل إلى يأس و خيبة، والبهجة إلى كدر، إنه النقد الذي لا يرى إلا العيوب والسلبيات ولا يقف إلا عند القصور والإشكالات إنه النقد الذي يهدف إلى إصابة الرأي العام باللامبالاة، أو بحالة من الإثارة، إنه النقد الذي يهدف إلى تحقير السلطات العامة أو إلى إحراجها أمام الكافة، إنه النقد الذي يهدف إلى التعقيد والتعجيز في حل المشكلات العامة، إنه النقد الذي يهدف إلى الإرباك والإحباط والتثبيت والتشتيت للجهود إزاء القضايا الوطنية المهمة، إنه النقد الذي يهدف إلى التشفي وفرض الذات لدى مثيروه، إنه النقد الذي لا تؤمن مخاطره وعواقبه.

خامساً: التطرف والإرهاب:

هذا هو المصطلح الخامس والأخير الذي يعنى البحث الماثل بتحديد مدلوله، والإرهاب كما ورد في المعجم الوجيز من الفعل الرباعي (أرهب) بمعنى: خوّف وفزّع، يقال: أرهب يرهب إرهابا.

والإرهاب كما عرفه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر هو: ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم، بغيا وفساداً في الأرض. وهو كما عرفه المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي: عدوان

يمارسه أفراداً وجماعات أو دول بغياً على الإنسان في دينه أو دمه أو عقله أو ماله أو عرضه، بكل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي.

ونكتفي بهذا القدر من التعريف بأبرز مصطلحات البحث، منعاً للإطالة أو من التكرار فيما سنعرض له من موضوعات البحث اللاحقة.

فكرة البحث:

تلعب الشائعات المغرضة دوراً بالغ الخطورة في توجيه الرأي العام [١] نحو الوجهة التي تخدم أهداف مثيروها، وهي في جميع أشكالها، وبجميع وسائل وأدوات انتشارها، وفي جميع وجوه استخداماتها [٢] تذكي وعلى صعيد المجتمع الذي تستهدفه، ما يعرف بالنقد الاجتماعي غير المسئول، سواء في محيط الأسرة، أو الشارع، أو المدرسة، أو الجامعة، أو العمل، أو النادي، وعلى كافة مستويات الاجتماعات واللقاءات العامة والخاصة، المفتوحة، والمغلقة.

ولا يخفى مقدار ما يؤدي إليه النقد الاجتماعي غير المسئول (الذي لا يرى من جميع وجوه الحياة في المجتمع إلا المثالب والسلبيات، ولا يرى من جميع المسئولين في الدولة إلا الأخطاء والزلات)، من سخط عام وتذمر على الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة في مجتمع الشائعة، ومن تأثير سلبي بالغ على عقول الناشئة ذات الخبرة والتجارب المحدودة، ومن

---

(١) يعرف الرأي العام بتعريفات متعددة منها: "إنه ميول الناس نحو قضية ما"، وقيل: "إنه تعبير جمع كبير من الأفراد عن آرائهم في موقف معين يهم غالبية لها تأثير في الموقف"، وقيل: "إنه الحكم الذي تصل إليه الجماعة في قضية ما ذات اعتبار ما". راجع د/ محمد عبد القادر حاتم، ص١٢٤، مرجع سابق.

(٢) سوف يأتي بمشيئة الله تعالى في المبحث القادم تصنيف (أشكال) الشائعات ووسائل انتشارها ووجوه استخداماتها.

بطريقة معينة، بحيث إنه ما كان ليتصرف على هذا النحو في حالة غياب هذه الدعاية، أو هي محاولة التأثير في نفوس الجماهير والتحكم في سلوكياتهم لأغراض ذات قيمة مشكوك فيها في وقت ما وفي مجتمع ما [١]، أو هي: فن التأثير والممارسة والسيطرة والإلحاح والتغيير والترغيب لقبول وجهات النظر أو الآراء أو الأعمال أو السلوك [٢]. أو هي: نشر الآراء ووجهات النظر التي تؤثر على الأفكار أو على السلوك أو كلاهما معا.

ومن هذه التعريفات للدعاية، وبالرجوع إلى تعريفات الشائعة يتبين أن بين وسيلتي الاتصال الجماهيري المتقدمتين عموم وخصوص نسبي، فهما يجتمعان في بعض الوجوه، وتتفرد كل منهما في وجوه وخصائص ذاتية تميزها عن الأخرى وذلك على النحو التالي:

- فالوسيلتان تستهدفان التأثير على أفكار وآراء وسلوك الجماهير.

- والوسيلتان تستخدمان الكلمة في الانتشار بين الجماهير عن طريق كافة أجهزة الإعلام الوطنية والأجنبية.

- إلا أنهما يختلفان في وجوه متعددة، منها:

- أن وسائل الدعاية أعم وأشمل من وسائل انتشار الشائعة، حيث تنتشر الدعاية عبر كافة الصور الكلامية والخطية والتصويرية والموسيقية والأغاني والاستعراضات والحيل والرموز والإيحاءات وكافة فتنون الإقناع الأخرى. أما الشائعة فإنها تنتشر عبر الكلمات فقط دون البديلات الأخرى المتقدمة حيث يمكن انتقالها عبر: الهمس، أو الثرثرة، أو النكتة، أو الطرفة والأملوحة، أو الحكاية، أو القذف، أو التنبؤ بالأحداث المقبلة.

- كما تختلف الوسيلتان في أن الشائعة قد تكون من نسج الخيال

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٠٧.

(٢) د/ محمد عبد القادر حاتم، ص١٣٩، مرجع سابق.

وقد تحتوي على جزء من الحقيقة، وقد تكون تضخيماً وتهويلاً لحادث فردي صغير أو لخبر أو لمعلومة تافهة، خلافاً للدعاية التي يشترط فيها أن تكون عملاً مدبرا محكماً ينطوي على قد ر كبير من تحديد المسئولية عن فكرتها ووسيلة انتشارها، وهي تخضع في كافة دول العالم لأنظمة (قوانين) خاصة تعرف بقوانين المطبوعات والنشر.

- كما تختلف الوسيلتان في أن الشائعة تركز على استخدام الإثارة والتشكيك والبلبلة والتهييج والخوف، فهي في حقيقتها جهد لفرد أو لمجموعة من الأفراد يهمهم بث الذعر والكراهية والفرقة وتحطيم الروح المعنوية للجماهير المستهدفة من الإشاعة، خلافاً للدعاية التي تتركز فيها الجهود على الوصول إلى التحكم في وجهات نظر الطوائف المستهدفة عن طريق الحيل والرموز والإيحاءات بهدف السيطرة على أعمالهم وردود أفعالهم.

هذا فضلاً عن أن الشائعة يمكن أن تظهر ثم تختفي ثم تعاود الظهور إذا ما تهيأت لها الظروف المناسبة، خلافاً للدعاية التي تتسم باستمرارية الإصرار على إقناع الجماهير بوجهة نظر معينة، والتي تعتمد إلى حد كبير على الإقناع بمخاطبة العقل والعاطفة معاً [١].

* **الشائعة والخبر**: الخبر في اللغة هو: ما يُنقل ويُتحَدَّثُ به قولاً كان أو كتابة، والخبر هو النبأ، يقال: أخبره بكذا أي أنبأه، والخبر: قول يحتمل الصدق والكذب لذاته، وجمعه أخبار [٢].

والخبر عند الإعلاميين قول يعتمد على البرهان والدليل القاطع، وهو وإن احتمل الكذب لذاته، إلا أنه كخبر يمكن إقامة الدليل على وقوعه بنسبته

---

(١) راجع فيما تقدم: المرجع السابق نفسه، ص ١٤٠ - ١٤٨، بتصرف.

(٢) المعجم الوجيز، مادة (خبر) ص١٨٤، مرجع سابق.

إلى مصدره الأصلي، أما الشائعة فإنها كما تقدم خبر ينتشر وهو غير متثبت فيه، أي أن دليله وبرهانه غامضاً باهتا غير واضح، فهي وإن كانت خبراً إلا أنه خبر غير متثبت فيه.

صفوة القول إذن هي: أن الشائعة المغرضة ظاهرة اجتماعية بالغة الخطورة تستخدم كأداة من أدوات الحرب النفسية، وتهدف إلى تحطيم المجتمع الذي تروج فيه من داخله، بتحطيم الروح المعنوية لأفراده، وتدمير العلاقة بين حكامه ومحكوميه، وبث روح الذعر والخوف والكراهية والأنانية بين الجماهير المستهدفة.

* * **أشكال وتصنيف الشائعات** [1]: يمكن تصنيف الشائعات إلى:

١ - الشائعة الزاحفة (المتدرجة): وهي التي تروج (تنتشر) بين الجماهير المستهدفة بها ببطء، ويتناقلها الناس همساً وبطريقة سرية، حتى تنتهي إلى الانتشار بين الكافة، ومن ذلك الشائعات المرتبطة بمرض الرؤساء والقادة أو بالتعديلات الوزارية المرتقبة.

٢ - الشائعة الجائحة: وهي ذات السرعة الفائقة في الانتشار بين الجماهير والتي تغطي مجتمعها في وقت قصير جدا، ومن أهم نماذجها الشائعات التي تروج أثناء الكوارث الطبيعية أو في أعقاب الانتصارات الساحقة، ومن أمثلة هذه الشائعات ما كانت تبثه إسرائيل عقب معارك يونيه ١٩٦٧م من قدرتها على اختراق الأنظمة الدفاعية لكل العرب ومن تفوقها العسكري والتكنولوجي ومن استحالة تدمير خط بارليف، ومن شأن الشائعات الجائحة (العنيفة) ذات الشحنات العاطفية الكبيرة أن تثير لدى الجمهور المستهدف مشاعر الخوف والقلق والاضطراب والذعر والارتباك وانعدام الرؤية والعجز عن اتخاذ القرار.

---

(١) راجع في هذا التصنيف، د/ محمد فوزي عبد الحميد، ص٢٣٥.

٣ - الشائعة الغائصة: وهي التي تطفو على ألسنة البعض فترة، ثم تغوص وتختفي ويتناساها الناس، فإذا ما تهيأت لها الظروف المواتية للانتشار عاودت الظهور، ومن نماذجها الشائعات التي تروج بين الحين والآخر حول استعدادات إسرائيل لتدمير المنشآت النووية الإيرانية والتحفز الإيراني للرد على العدوان الإسرائيلي.

وهناك تقسيم آخر للشائعات ينبني على معيار البواعث أو الدوافع النفسية لدى مروجيها، ولدى الجمهور المستهدف بها، حيث قد يكون الدافع من وراء الشائعة نفسياً بحتا، فقد تقف من ورائها العداوة والبغضاء، وقد تكون تعبيراً عن خوف أو عن رغبة، وقد تنتج عن توتر عقلي، وبوجه عام يمكن تقسيمها وفقاً لهذا المعيار إلى ثلاثة أنواع[1]:

١ - الشائعات الحالمة: وهي التي تعبر عن خيالات وأحلام وأماني الجماهير المستهدفة، بحيث تجد الفرد يرددها وهو يستشعر السرور والارتياح ويأمل أن تصبح الشائعة حقيقة، ومن ذلك: ما يتردد بين الحين والآخر في أوساط الموظفين من شائعات بزيادة الرواتب والأجور مع بدء السنة المالية الجديدة، وتهدف هذه الشائعة إلى إحداث خيبة الأمل لدى الموظفين عند بداية السنة المالية الحديدة دون أية زيادات، ومن ثم وقوعهم أسرى لتحريضهم ودفعهم إلى الإضرابات والاعتصامات.

٢ - الشائعات الوهمية: وهي تلك التي تعبر عن خوف ورهبة وفزع وألم لا عن أماني ورغبات، ومن نماذجها الشائعات المغرضة التي كانت تطلقها إسرائيل أثناء عدوانها الوحشي الأخير على غزة وأثناء عدوانها الأخير على لبنان عن أعداد الطائرات المغيرة والآليات المشاركة في الحرب وأنواع الأسلحة المستخدمة وأعداد القتلى والجرحى من الطرف الفلسطيني أو

(١) راجع بتصرف: المرجع نفسه، ص٢٣٦.

اللبناني، وتهدف هذه الشائعات إلى بث روح اليأس والهزيمة والعجز لدى رجال المقاومة وإيهامهم بأن لا قبل لهم بالترسانة الإسرائيلية.

٣ - شائعات الفتنة: وهي تلك التي تهدف إلى دق الأسافين وإحداث الفتنة والفرقة بين طوائف الشعب الواحد، أو بين شعبين شقيقين، وذلك عن طريق تضخيم وتجسيم حادث فردي حاضر، أو إحياء نزاع قديم، ومن نماذجها شائعات الوقيعة المستمرة والتي لا تهدأ بين المسلمين والأقباط في مصر، وشائعات الوقيعة والدسيسة بين طائفتي السنة والشيعة في العراق، ومن أمثلتها الفتنة التي كادت أن تقع بين الأنصار والمهاجرين على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، حيث استغل المنافقون حادثاً صغيراً وقع من أجير عند عمر بن الخطاب من بني غفار تزاحم مع أجير آخر من جهينة حلفاء الخزرج تزاحما على السقي من أحد الآبار وتشابكا بالأيدي، فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وصرخ الأجير يا معشر المهاجرين، وتلقف عبد الله بن أبي بن سلول الموقف قائلاً لمن حوله: أو قد فعلوها، لقد نافرونا وكاثرونا في بلادنا وأضاف قولته البذيئة: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضر من قومه قائلاً لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم لتحولوا إلى دار غير داركم. ولما وصل الخبر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان عنده عمر بن الخطاب، قال عمر: مُرْ به عباد بن بشر بقتله. فرد الرسول - صلى الله عليه وسلم - : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، ولكن أذن بالرحيل، فارتحل الرسول وارتحل الناس معه ومشى بالناس باقي يومهم وليلتهم حتى أصبح واستمر حتى آذنتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا إلا أن وقعوا نياماً، فلما استيقظوا كان الله قد صرف عن قلوبهم ما مسهما من الضغائن تجاه بعضهم البعض، وهكذا وأد الرسول الفتنة في مهدها ولم يدعها تستشري فتنتشر.

* **عوامل انتشار الشائعات:** هناك مجموعة من العوامل المساعدة على رواج وانتشار الشائعات بمختلف أشكالها من أهمها:

١ - غياب المصداقية لدى الجماهير في وسائل الإعلام الرسمية من صحافة وإذاعة و تلفاز وغيرها، في معالجتها للأحداث الجارية، ومجريات الحياة العامة للناس، فإذا اعتادت وسائل الإعلام على الكذب وإخفاء الحقائق والتعتيم على الأحداث والاستخفاف بعقول الناس، فإنها تفقد مصداقيتها لدى جماهيرها [(١)]، وتفسح المجال واسعا أمام انتشار الشائعات التي تدسها وسائل الإعلام الأجنبية التي تضطر الجماهير إلى الأخذ عنها، لا لمصداقيتها وإنما لأنها تفقد الثقة في وسائل الإعلام الوطنية لديها.

٢ - غياب المتحدث الرسمي عن كشف حقيقة الأحداث الجارية في الوقت المناسب، حيث يتلهف الناس إلى معرفة الحقيقة فيما يحدث، ولا يجدون أمامهم سوى تصديق وترديد الشائعات إذا تأخر أو غاب عنهم المتحدث الرسمي الذي يثقون فيه وفيما يقوله، وكما يقولون: إن الشائعة تنتشر حينما لا تكون هناك أخبار من مصادر رسمية، ولذا يكون من اللازم لوأد أية شائعة أن تقدم الدولة للناس أدق الأنباء عن الأحداث الجارية وبأقصى سرعة ممكنة، إذ عندما تتيقن الجماهير أن حكومتهم تمدهم علما بكل الأحداث، فلن يجهدوا أنفسهم بالبحث عن مصادر معلوماتية أخرى.

٣ - التعتيم على الأحداث الجارية وإحاطتها بهالة من حظر النشر وتكتم الأخبار حولها والعكس في كل ذلك صحيح فالمبالغة في النشر حول حادث معين، يدفع الفضول لدى البعض إلى محاولات الوصول إلى الحقيقة، وفي كلتا الحالتين تتزايد تشويهات الشائعات لحقيقة هذه الأحداث.

---

(١) فارس أشتى - الإعلام العالمي (مؤسساته، طريقة عمله، قضاياه) مكتبة بيروت، لبنان ١٩٩٦م.

٤ - وقد يكون من بين عوامل انتشار الشائعات ميل بعض الأفراد إلى حب الظهور أو الرغبة في التأييد العاطفي والمشاركة في المشاعر أو التسلية والفكاهة وتضييع الوقت.

٥ - البث السريع والمتواصل والمتكرر للشائعة من جانب وسائل الإعلام العالمية، بما يخضع المتلقي للشائعة لضغط ملاحقة الشائعة دون تعمق في مضمونها أو في صحتها.

٦ - التصوير الزائف للإسلام والمسلمين، وتشويه صورة العمل الخيري الإسلامي الذي اتهم زوراً وبهتاناً بدعم الإرهاب، إذ في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م أخذت شائعة اتهام العمل الخيري الإسلامي بدعم الإرهاب حيزاً كبيراً في وسائل الإعلام الصهيونية، حتى كاد بعض المسئولين والمدافعين عن المؤسسات الخيرية الإسلامية أن يصدقوا هذه الاتهامات الملفقة، على الرغم من عدم ثبوت هذه التهمة على حالة إغاثية واحدة، أو على شخص معين أو على مؤسسة خيرية معينة.

وتعجبني كثيراً مقالة الشيخ صالح الحصين الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف إلى مجلة البيان في عددها رقم ٢٥٢ [1] والتي ورد فيها: "ربما لم يحدث في التاريخ أن تبلغ كذبة من الشيوع والانتشار في وقت قصير، إلى درجة أن يصدقها المتهمون بها، وأن يشيعها من تضرر بها في جوانب حياتهم الدينية والوطنية، وإلى درجة أن تبنى عليها قرارات دولية وقومية، وأن تنال بأضرارها مئات الألوف من الأبرياء، مثل كذبة أن المؤسسات الخيرية الإسلامية وبخاصة السعودية، تدعم الإرهاب بشكل أو بآخر، عن قصد أو عن غير قصد" والأسوأ من هذا أن تنحو وسائل الإعلام العربية والإسلامية منحى الإعلام الصهيوني ربما بدافع من السذاجة أو الغفلة

(١) راجع مقالة معالي الشيخ الحصين في: مجلة البيان السعودية - العدد ٢٥٢.

أو الانسياق، وأن تتهم هي الأخرى المؤسسات الخيرية الإسلامية بدعم الإرهاب وأن تروج لهذه الشائعة المغرضة وأن تساهم في إضعاف ثقة الجماهير الإسلامية بهذه المؤسسات، وأن تجفف بذلك منابع العمل الخيري الإسلامي تاركة الساحة فارغة لمؤسسات الإغاثة التبشيرية الاستشراقية الرامية إلى ردة المسلمين عن دينهم.

المبحث الثاني
دور الشائعات المغرضة في إذكاء النقد الاجتماعي غير المسئول

من المسلم به أن لكل فرد ذوقه الخاص، وثقافته الخاصة، ومفاهيمه ومعتقداته وتطلعاته الخاصة، وأن الفرد المتلقي للشائعة يتلقاها وهو تحت ثلاث مؤثرات هي:

أ - مؤثرات حسية تستثير فيه قدراً من الأحاسيس الطبيعية؛ كالفرح أو الحزن أو الخوف أو الكراهية، وبقدر ما تستثير فيه الشائعة هذه المؤثرات بقدر ما تتولد لديه هذه الأحاسيس كردود فعل غريزية للشائعة.

ب - مؤثرات عقلية تستثير في المتلقي للشائعة ردود فعل عقلية دافعة إياه إلى إعمال العقل والتفكير، ومحددة لموقفه من الشائعة إما بالتصديق أو بالتكذيب أو بالتأييد أو بالرفض أو بالإعجاب أو بالاستنكار.

ج - مؤثرات نفسية تخاطب من المتلقي للشائعة عقله الباطن وبؤرة اللاشعور لديه، وهي مؤثرات تستثير من المتلقي خبراته وتجاربه الكامنة في منطقة اللاوعي عنده.

ولما كانت الشائعة المغرضة وسيلة من وسائل الحرب النفسية وأداة رئيسة من أدواتها الفاعلة، فإن مثيري الشائعات وبمهارة الاستخدام لفن التأثير على الجماهير، يجيدون استخدام كل هذه المؤثرات بالقدر الملائم وفي الوقت الملائم ضماناً لنجاح انتشار الشائعة وإنتاجها لآثارها المطلوبة.

والمتلقي للشائعة تحت ضغط الإلحاح والمتابعة والملاحقة، الإلحاح الناتج عن تغير أسلوب حكاية الشائعة بتغيير شخص الراوي لها، الإلحاح الناتج عن كثرة طرح الشائعة بكثرة المناسبات والظروف المواتية لترديدها

والمتابعة الناتجة عن جهود المروجين للشائعة والمتحمسين والمؤيدين لها في تعميقها وترسيخها في عقول الجماهير، والملاحقة الناتجة كذلك عن جهود المروجين لها بتذكير الناس إياها كلما تغافلوا عنها لإكسابها مزيداً من الحيوية والفاعلية.

المتلقي للشائعة تحت هذه الضغوط قد يستجيب لها وقد يقبلها بعقله وبخاصة عندما تتوفر لها عوامل انتشارها سالفة البيان.

وانطلاقاً من هذه المقدمات يأتي رد فعل المتلقي للشائعة ويتكيف سلوكه تبعاً لذوقه وثقافته ومفاهيمه ومعتقداته وتطلعاته الخاصة، وذلك بما من مقتضاه إمكانية تعديل الشخص المتلقي للشائعة من سلوكه الشخصي المعتاد إلى سلوك آخر أكثر انقياداً وأكثر تأثراً بالشائعة.

وكلما كانت الشائعة مقنعة وواضحة وصريحة وتحمل قدراً من الحقيقة، كلما ازدادت أعداد المستجيبين لها من الجماهير المستهدفة بها.

وفي كل الأحوال فإن الثرثرة الكلامية تبدأ بين جمهور الشائعة فور انتشارها، وهنا تبدأ مهام النفر الأكثر تأثراً بالشائعة والأكثر حماساً وتأييداً لها، حيث يسعون جاهدين إلى تحويلها إلى ثوابت وحقائق بعد أن كانت خبرا غير متثبت فيه، وهم على استعداد إلى إقامة الأدلة على صدقها، ولا مانع لديهم من الحلف بالله على صدقهم وهم يرددوها، رغبة منهم في إقناع المخالف لهم والمتلقي لروايتهم إياها.

وبعد أن تتأكد الشائعة وتصبح حقيقة راسخة في الأذهان، تبدأ مراحل تأثيراتها وإنتاجها لأهدافها، وفي أولى هذه المراحل تبدأ مهام الناقدين الاجتماعيين في إذكاء النقد الاجتماعي غير المسئول، لكل أوضاع الدولة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولكل المسئولين في الدولة ابتداء من رئيس الدولة وحتى شرطي المرور الواقف في الشارع، فالأوضاع كلها في نظر الناقد الاجتماعي الخبير البصير بدقائق الأمور، فاسدة، والمسئولون جميعا

فاسدون ولا أمل في الإصلاح من وجهة نظره إلا بصاعقة تنزل من السماء تخلص الناس من هذا الفساد.

الناقد الاجتماعي بفكره المنساق وراء الشائعة، والنقد الاجتماعي غير المسئول الذي يسود كافة مستويات المجتمع، هو الثمرة اليانعة الناضجة للشائعة المغرضة وهو مصدر الخطر الحقيقي على أمن وسلامة المجتمع، ولبيان ذلك نسوق هذه النماذج:

أولاً: النقد الاجتماعي غير المسئول على مستوى الأسرة:

تمثل الأسرة حجر الأساس في تعزيز الانتماء الوطني لدى أبنائها، بما يمثله تعميق الشعور بالانتماء الوطني من أهمية في استقرار المجتمع وتماسكه وتقدمه باعتبار أن الانتماء الوطني دعامة رئيسة في بناء الفرد والمجتمع والأمة، إذ بدونه لا يمكن للفرد أن يحمي وطنه أو يبذل روحه في الدفاع عنه، أو يساهم في بنائه وتنميته.

والانتماء الوطني ليس شعاراً يمكن ترديده، وإنما هو ممارسة وتطبيقاً لمبادئ وقيم وثوابت دينية واجتماعية وسياسية يتوارثها الأبناء عن الآباء جيلاً بعد جيل، وبه وعن طريقه ينساق الفرد بلا إرادة في حب الوطن والانتماء له والحنين إليه والاغتراب في الابتعاد عنه، والمحافظة على أسراره والدفاع عنه والموت في سبيله.

وتلعب الأسرة الدور الرئيس في تكوين شخصية الأبناء وغرس الانتماء والهوية الوطنية لديهم، وتقوية أواصر الصلة بينهم وبين أرض الوطن ومن يقيمون عليها من حكام وأفراد، بما يخلق الشعور بوجود روابط مشتركة بين أبناء الأسرة الواحدة وبين كل فرد فيها وبقية أفراد المجتمع، روابط دم، وجوار، وموطن، وعادات وتقاليد، ونظم، وقيم وعقيدة، ومهن، روابط توجه الجميع نحو اتجاه واحد، ومصير واحد مشترك، روابط تدفع الجميع نحو

الاعتزاز والفخر بالانتماء للوطن والدفاع عنه والمحافظة عليه.

والشعور بالانتماء للوطن على هذا النحو من أهم الدعائم التي تقوم عليها أي دولة وهو العمود الفقري لأية جماعة إنسانية، به تزداد الجماعة صلابة وتماسكاً، وبدونه تفقد الجماعة تماسكها ويذهب ريحها.

وهو في الوقت نفسه حاجة ملحة لدى كل فرد، أن يشعر الفرد بأنه جزء من جماعة وأنه جزء من وطن، وأن لوجوده قيمة في تلك الجماعة وفي هذا الوطن، فإن ذلك يكسبه المعرفة بنفسه وبقيمة وجوده في الحياة، أنها حاجة يجب أن تشبعها الأسرة لأبنائها منذ طفولتهم وأن ترعاها في شبابهم.

ومسئولية الأبوين عن إشباع هذه الحاجة لأبنائهما مسئولية كبيرة؛ فالطفل في مراحل نموه الأولى يكتسب مفهومه عن ذاته وعن المحيطين به من الأشخاص اللصيقين به والمهمين في حياته وهما الأبوان، فإذا كان الأب أو كانت الأم فاقد الدور في تعزيز الانتماء للوطن لدى الابن فتلك كارثة، والكارثة الأعظم منها أن يجلس الرجل في بيته وبين أفراد أسرته، وبدون أن يدرك أنه المثل الأعلى والقدوة الطيبة لأطفال وشباب في عمر الزهور، بلا خبرة سابقة ولا تجربة متقدمة يلتقط خبرا من إحدى الفضائيات المأجورة، هو مجرد إشاعة مغرضة، لكن الرجل يجعله مسلَّمة حقيقية وينبري أمام أطفاله بتفسيره ويصب جام غضبه على كافة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وعلى كافة المسئولين في الدولة، فكل شيء في نظره فاسد، وكل مسئول من وجهة نظره سارق وكل السياسات في الدولة فاشلة، وأنه لو كان مسئولا لأصلح الكون كله، ولو كان الأمر بيده لفعل، وما يدري مثل هذا الناقد أنه يغرس في عقول الأبناء بذور الحقد والكراهية لوطنهم، وما يدري أنه يسلب من قلوب أبنائه أغلى قيمة عند كل مواطن صالح، وهي قيمة الانتماء للوطن، قيمة الولاء والإخلاص والارتباط بالتراب الوطني، وما يدري مثل هذا الناقد أنه يغرس في نفوس الأبناء كل معاني السلبية والأنانية وحب

الذات والاغتراب النفسي عن الناس وعن المجتمع.

نعم قد يكون هذا الناقد قد نال حظاً من الراحة النفسية عندما ظهر أمام أفراد أسرته أنه الرجل الخبير بكل شيء الحائز لما لا يعرفه غيره من أخبار ومعلومات، نعم قد يكون هذا الناقد قد أشفى غيظه من الحكومة التي تركت ارتفاع الأسعار تلهب ظهره وتحرق مدخراته، نعم قد يكون هذا الناقد قد انتقم لنفسه من ضرر خاص أصابه، ولكنه وبكل تأكيد عندما أطلق عنان لسانه للخوض في ما لا يعنيه وفي أعراض المسئولين في الدولة أمام أطفال وشباب صغار هو بالنسبة لهم الرمز والمثل والحلم والحقيقة والصدق والعدل والقيمة، إنه بذلك يتسبب وبدون قصد أو عائد حقيقي في هشاشة لبنة من لبنات المجتمع، ومن الصعب بل من المستحيل أن يقوم بناء المجتمع على لبنات هشة غير متماسكة أو متراصة.

نعم إن التربية الراشدة الناضجة هي الضمان الأول لنهضة الأمم والشعوب والبيت هو المدرسة الأولى لتلك التربية، وعندما يكون رب البيت وكبيره صفر العقل والقلب ناقداً حانقاً حاقداً على كل أوضاع المجتمع، ساخطا على كل ما فيه ومن فيه، فإن الأبناء لن ينظروا إلا بمرآة أبيهم، ولن يروا من مجتمعهم إلا ما يريهم إياه، والسؤال هو: من أين تتحقق التربية الأسرية المنشودة؟

نعم إن الانهيار الذي يعرض للدول على مر العصور يرجع إلى أسباب علمية واقتصادية وسياسية كثيرة، بيد أن فقدان التربية السديدة والتنشئة الصالحة للأبناء وحب الوطن والانتماء إليه والولاء والاعتزاز لأرضه وبأرضه يرجع إلى العوج الهائل في التربية الأسرية، وإلى الأب الناقد الغافل الساذج محدود العقل والتفكير.

وإذا كان مفهوم الجاهلية قبل الإسلام غير مقصود به عدم المعرفة أو قلة العلم، وإنما يقصد به في هذا الخصوص، غلبة الهوى والعناد، وشدة

النزق والحماقة، واستيلاء الطيش على الإنسان، فإن رب الأسرة الذي يسيطر على مزاجه وعقله النقد الاجتماعي غير المسئول جاهلي لا محالة، وإن المجتمع الذي تسود فيه هذه الظاهرة الاجتماعية السيئة، هو مجتمع جاهلي بلا ريب.

ثانياً: النقد الاجتماعي غير المسئول على مستوى المدرسة والجامعة:

من المفترض أن يكون المعلم في المدرسة وفي الجامعة رمزاً شامخاً لطلابه يغرس في عقولهم وأفئدتهم كل معاني العزة والقوة والانتماء والولاء للوطن، من المفترض أن يكون المعلم أوسع الناس فكرا، وأرقهم خلقاً، وأكثرهم حيلة في معالجة الأزمات العارضة.

من المفترض أن يغرس المعلم في عقول طلابه نشدان الحياة الكريمة وحب المخاطرة ومواجهة الصعاب، وعلو الهمة، وقوة الوسيلة، والتزام معالي الأمور والبعد عن محاقرها.

لكن البعض من المعلمين ولا أقول الكل ينشغل أو يتشاغل عن أداء رسالته، وأثناء ساعات دروسه، وأمام طلابه، تلميحاً وتصريحاً، عبارة وإشارة، غمزاً ولمزاً، بالنقد الاجتماعي غير المسئول، فتراه أحياناً يحقر المناصب التي فاته الحصول عليها، والوصول إليها، فيهون من شأنها، ويغض من قدرها، وتراه أحياناً أخرى يبخس الفضائل حقها، لأنه عاجز عن أن يكون فاضلاً، وتراه أحياناً متبرماً ساخطاً على الحياة والأحياء التي لم تلبّ له كل شهواته وتراه أحياناً يقبل على تسويغ الكذب كلما عجز عن الصدق في القول أو في العمل، وتراه أحياناً يسخر من حسنات الناس كلما كسب سيئة أو أحاطت به خطيئته.

إن مثل هذا المعلم لا يعرف للفضائل قدرها، وهو حين يصيح في درسه بألوان النقد الاجتماعي غير المسئول، يهيج في دماء الشباب حب

الإرهاب ويزين أمامهم غريرة تغيير ما يسميه بالمنكر والفساد باليد والتدمير، إنه يطلق من طلابه مراتع الشهوات ومطاوعة الأهواء.

ولو أن مثل هذا المعلم قد أومضت في عقله لحظات يأس سريعة، ما إن تبرق حتى تختفي ثم يعاود معيشته الراضية ويأخذ الحياة كما هي، لقبلنا منه عذره وزلته، إن زل لسانه أمام طلابه ذات مرة، لكنه لا يقبل منه أن يعيش أسيراً لشائعات مغرضة، أو لظنون غالبة، وأن يبث قرفه وسمومه في أحلام طلابه، إن الأمر والحالة هذه، أخطر من أن ينظر في ظلال الغفلة وقلة الاكتراث، حيث لا يمكن أن يحمل نقده الاجتماعي غير المسئول إلا على أنه ثمرة ما لديه من وعي وحس وإرادة آثمة.

ثالثاً: ولا يقف النقد الاجتماعي غير المسئول:

والذي نمهد لاعتباره منبعاً من منابع الإثم والإرهاب عند عتبات أبواب البيوت والمدارس والجامعات بل إنه يمتد وينتشر بانتشار الشائعات المغرضة، حتى يقف على منابر المساجد طافحا على ألسنة بعض خطباء الفتنة الذين يسيئون عن جهل إلى أمانة ومسئولية الكلمة، إنه يمتد لكي يقتحم علينا مضاجعنا وخلواتنا فيما نشاهده على شاشات الفضائيات المأجورة التي لا ترى كاميرات تصويرها إلا كل قبيح في المجتمعات التي تستهدفها بشائعاتها المغرضة، إنه يمتد طالما وجد أمامه أناس يقبلون الشائعة دون مبالاة أو تدقيق، أناس يسمحون بمرور الأخبار في حاشية الشعور أو شبه الشعور دون يقظة أو انتباه، أناس ممن ينطبق عليهم الوصف القرآني البليغ: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[آية ١٧٩: الأعراف]، أناس مطمورون لا يصيخون إلى صوت العقل إذا انعطفوا إلى الشائعة في لحظة ضعف أو فراغ، باعتبارها زورة عابرة.

المبحث الثالث

أثر الشائعات المغرضة والنقد الاجتماعي غير المسئول على تجذير[1] منابع فكر التطرف والإرهاب

نحن لا ننكر أن بعض الأقطار الإسلامية تعيش في ظروف اجتماعية واقتصادية معقدة، ومن الطبيعي أن تنتشر فيها الشائعات المغرضة، وترتع في عقول الكثير من أفرادها كما يرتع الداء في جسم لا مناعة له ولا تماسك به، ومن المتصور أن يسعى نفر من مروجي الشائعات إلى أن يزيغ بعقول الشباب المسلم عن الصراط المستقيم في هذه الأقطار.

ونحن لا نلوم الآخرين من المصادر الرئيسة للشائعات المغرضة على انتهاز الفرص السانحة لتحقيق مآربهم الخاصة، ولكننا نلوم أنفسنا على انسياق بعضنا وراء هذه الشائعات مع علمنا بأنها شائعات مغرضة.

والسؤال الذي نطرحه هو: إلى ماذا يسعى مروجو الشائعات المغرضة والنقاد الاجتماعيين المعنيين؟ هل يريدون هدم دولهم وأوطانهم وتحقير قياداتهم الوطنية، أم يريدون صرف الأجيال الجديدة عن الانصياع لسياسات الدولة وأنظمتها وقوانينها، أم يظنون أن من حقهم أن ينقضوا أركان الدولة ونقض بنيانها، أم يظنون أن من حقهم أن يجادلوا في الباطل وأن يخطئوا دون

---

(١) الجذر: أصل كل شيء، وهو مفرد جمعه جذور، وهو من النبات جزؤه الذي يتشعب في الأرض ويحصل على غذائه منها - المعجم الوجيز، ص٩٧، مرجع سابق، والمقصود به هنا: جعل الظاهرتين المشار إليهما أصلا ثابتا ينبع منه فكر التطرف والإرهاب.

حرج، وأن لا يدعوا أمرا يصدر عن سلطات الدولة إلا ألقوا عليه ظلالاً من الريبة كيف شاءوا، أم يظنون أن الانفلات من قيود النظام العام حرية وأن الشغب على سيادة الدولة ممارسة ديمقراطية.

إن الطامة الكبرى أن الشائعات المغرضة، وأن النقد الاجتماعي غير المسئول المنساق وراءها يتخذان لنفسيهما عنوانا براقا ليستر سوءاتهما هو: حرية الرأي والممارسة الديمقراطية، فباسم حرية الرأي تستباح الشرعية، وباسم الممارسة الديمقراطية توأد الدستورية.

باسم حرية الرأي وحرية النقد تشب الناشئة وهم غرباء عن البيئة التي ينبوا فيها، باسم حرية الرأي وحرية النقد الاجتماعي تتنكر الناشئة لأوطانها ومسئولياتها، ومسئوليها، باسم حرية الرأي وحرية النقد أصيب الكثير من الشباب بجراثيم وفيروسات التحلل والشك والتطرف والإرهاب.

إن مثل هذه الناشئة هي أقصى أماني الشيطان، نعنى شياطين الإنس من مثيري الحروب النفسية ومروجي الشائعات المغرضة، والنقاد الاجتماعيين المنساقين انسياق القطيع وراء هذه الشائعات، إن مثل هذه الناشئة هي مثار الفزع الذي نخشاه على مستقبل أوطاننا وترابنا، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝ ﴾ [آية ٥٩ مريم]، إن مثل هذه الناشئة هم الحراس لأماني الشيطان في أن يعم أرجاء أوطاننا الإثم والفسوق والعصيان وأعمال التطرف والإرهاب.

إن إذاعة الأخبار بدون تثبت ودون العودة إلى السلطات المختصة سبب لأضرار كثيرة منها:

١ - أن الإرجاف بالأخبار مدعاة إلى البحث والاستقصاء عن الحقيقة وقد يؤدي ذلك إلى إفشاء أسرار خطيرة كان يجب أن تظل محجوبة.

٢ - الوقوع في رذائل الكذب، والافتراء، والغيبة، والنميمة.

النقد الاجتماعي غير المسئول والتطرف الفكري:

يمكن تعريف التطرف في نطاق هذا البحث بأنه: الخروج عن القواعد الفكرية، والقيم الاجتماعية والمعايير العرفية، والممارسات السلوكية السائدة في المجتمع وتبني قيما ومعايير وممارسات مخالفة، كما يمكن تعريفه بأنه: محاولة فرض الرأي المخالف على الآخرين بالقوة.

وتعد ظاهرة التطرف تعبيرا عن مكنون ما في داخل شخصية المتطرف من رفض واستياء تجاه كل ما هو قائم في المجتمع من أوضاع حياتية، بحيث يعكس تطرفه خصائص شخصيته المتطرفة وتصرفاته المغايرة مثل التعصب والتصلب في الرأي والمواقف والجمود الفكري والرغبة في السيطرة وضعف الأنا.

وينتج سلوك الفرد المتطرف عن تضافر عوامل عديدة تبث بذور الشك في شعوره بالانتماء والولاء الوطني وفي يقينه الديني، وهو ما يفقده الثقة في ذاته، ويدفعه إلى إلقاء اللوم على الآخرين باعتبارهم سبب كل بلاء، وتأتي الشائعات المغرضة، والنقد الاجتماعي غير المسئول في مقدمة هذه العوامل.

وإذا كان النقد الاجتماعي غير المسئول في ذاته تطرفاً فكرياً، فإنه وكلما كان منيته في البيت أو في المدرسة، يقود حتما إلى التطرف السلوكي؛ إذ من المعلوم أن الأسرة هي أولى المؤسسات التربوية التي تتعامل مع الفرد بعد ولادته، فعن طريقها يستقي الفرد قيمه وعاداته وتقاليده، وعن طريقها بتعلم الطفل ما هو الخطأ وما هو الصواب وما هو العيب، يتعلم الطفل مقدار حقوقه وواجباته وأساليب التعامل مع الغير، يتعلم الطفل احترام الصغير وتوقير الكبير، يتعلم الطفل السلوك السوي، إنه باختصار يأخذ عن أسرته مجموعة القيم والمثل والثوابت والآداب الدينية والاجتماعية والأخلاقية ثم

تأتي المدرسة باعتبارها المؤسسة التربوية التالية، لتكمل دور الأسرة في تعليم وتربية وتنشئة الطفل وتعزيز انتمائه الوطني.

فإذا ما كان الأب وهو رمز السلطة في الأسرة ومرجع القيم وراعي النظام فيها، وإذا كان المدرس وهو النموذج والأسوة والقدوة لتلاميذه، متطرفا فكريا، متبرما، ساخطا، ناقدا، ناقما على المجتمع بكل ما فيه ومن فيه، فإن الطفل يفقد مرجعيته السوية، وتتشوش في ذهنه منظومة القيم والمثل والثوابت والآداب الدينية والاجتماعية والأخلاقية، وتتجاذبه عندئذ مرجعيات أخرى ليستلهم منها نموذجه الفكري والأخلاقي، وقد تكون هذه المرجعيات ذات ثقافة متشددة في فهم الدين أو في تأويل نصوصه، وقد تكون ذات نزعات دموية، وقد تكون عميلة مأجورة ذات أهداف إرهابية، وهنا تقع الكارثة، ويوجد بين ظهرانينا ومن أبنائنا وبني جلدتنا شخصيات عنيفة أوجدها خلل التنشئة الأسرية وفراغ الثقافة والمعرفة، وتنجح الشائعات المغرضة وينجح النقد الاجتماعي غير المسئول في أداء الرسالة والهدف، وتتجذر في المجتمع منابع فكر التطرف والإرهاب.

* النقد الاجتماعي غير المسئول وحق الاختلاف في الرأي:

إن حق الاختلاف في الرأي مسلّمة أكدها القرآن الكريم في أكثر من آية كريمة منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ [آية ١٩ يونس]، وقد أكد القرآن الكريم كذلك على أن الاختلاف والتباين والتعدد في مظاهر الكون آية تشهد على عظمة الخالق جل شأنه، قال عز وجل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [أية ٢٢ الروم]، لكن الاختلاف من منظور القرآن الكريم لا ينبغي أن يؤدي بالضرورة إلى صراع وتقاتل أو إلى سباب وشتائم أو خصام وتقاطع، وإنما إلى تبادل في

المنافع والخيرات وإلى تلاقح في العقول والأفكار والآراء، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [آية ١٣ الحجرات].

إننا نرفض أن يكون الاختلاف في الرؤى والآراء، ذريعة إلى النقد الاجتماعي غير المسئول، ونسمح بأن يكون هذا الاختلاف ساحة وميداناً للجدال بالتي هي أحسن، الجدال الذي لا ينتج انفعالا أو عصبية، الجدال الذي يعف عن استخدام ألفاظ التخاطب النابية، الجدال الذي يعي بالحدود والفواصل بين الذات والموضوع، الجدال الذي لا ينحرف بصاحبه عن موضوع الحوار والنقاش إلى التجريح الشخصي لذات الخصم، الجدال الذي لا يفسد قضية الود بين طرفيه بما يدفع بهما في النهاية إلى استخدام العنف، فإن الجدال الذي ينتهي إلى هذه النتيجة لا يعد جدالا بالتي هي أحسن وإنما هو إفلاس فكري قبيح، وصدق الله العظيم في قوله مخاطبا وموجهاً لرسوله الكريم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آية ١٥٩ آل عمران].

شتان بين النقد والانتقاد:

قدمنا أن نقد الكلام هو إظهار ما فيه من محاسن ومن عيوب، وأن نقد الأشخاص لا يعني إظهار مساوئهم فقط والتغاضي عن حسناتهم، فالتركيز على المساوئ إنما هو انتقاد لا نقد.

وقد تعلمنا من فقهائنا العظام أنهم مارسوا حق النقد فيما نقل عنهم من باب الجرح والتعديل في علوم الحديث ورجاله، والذي كان قوامه عندهم هو النزعة النقدية، وليس النزعة الانتقادية، فراوي الحديث النبوي قد يعتريه النسيان أو الغفلة، وقد يكون وضاعاً وقد.. وقد.. وهو عندما يتم جرحه برد روايته ومنع العمل بها، لا يتم تجريحه بالسباب والشتائم وإلقاء الاتهام على

عواهنه، فإن علماء الحديث عندما يجرحون راويا يثبتون بالدليل القاطع أسباب جرحه، ولا يطعنون في عدالته فيما ينقل عنه من فروع العلم الأخرى غير رواية الحديث، فإن جرحه لا يستتبع بالضرورة عدم تعديله.

شتان بين الاختلاف والمخالفة:

يستدل بما جاء في المعجم الوجيز على أن أصل الكلمتين واحد وهو مادة (خلف) لكنهما مختلفتان في الاستعمال؛ فالاختلاف يستعمل بمعنى عدم الاتفاق، وإنما يكون ذلك في حالة المغايرة في الفهم الناتج عن تفاوت وجهات النظر، قال تعالى: ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [آية ٢١٣ البقرة]، وقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم بسنده: "اللهم اهدني لما اختلف فيه من الحق".

أما المخالفة فهي حالة من التضاد والخروج والعصيان الواقع عن قصد المخالف، يقال: خالف عن الأمر: خرج، وفي التنزيل: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آية ٦٣ النور] وقوله عز وجل: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [آية ٨٨ هود]، والمخالفة والخلاف قد تستعملان في معنى واحد، يقال: خلاف الشيء غيره، وقد يستعمل الخلاف بمعنى الاختلاف وعدم الاتفاق على رأي واحد لكنه في هذه الحالة لا يكون ناتجا عن المخالفة، بل يكون ناتجا عن المغايرة في الفهم واختلاف وجهات النظر، وقد اختلف أئمة الفقه الإسلامي في الكثير من الفروع الفقهية، وخالف بعضهم رأي بعض لكنهم لم يتخالفوا ولم يتنافروا ولم يتضادوا ولم يتعادوا، فقد وقعت بينهم اختلافات ولم تحدث بينهم مخالفات.

وعليه نقول: إذا كان الاختلاف في الرأي حق مشروع لكل ذي رأي

فإن الاختلاف الذي يؤدي إلى المخالفة والفرقة والعصبية والتنابذ بالألقاب والعداء وإشهار السلاح في وجه المخالف، لا يمكن أن يكون حقا مشروعاً لأحد، ولا يمكن أن يكون مسوغا للنقد الاجتماعي الذي لا يعرف حدود مسئولية الكلمة، النقد الذي يطرح الحسنات جانبا ولا يرى إلا السلبيات والعيوب، النقد الذي يهدف إلى الإثارة والشك والبلبلة، النقد الذي يدفع بالسامع إلى الانفعال والثورة والغضب والإقدام على تغيير الأوضاع بالقوة، فإن مثل هذا النقد الاجتماعي غير المسئول يشكل في ذاته وحقيقته تطرفا فكريا، ودعوة صريحة إلى ارتكاب الجرائم الإرهابية، فضلا عن كونه منهي عنه شرعا ووضعاً.

النقد الاجتماعي غير المسئول وإضعاف الانتماء الوطني:

الانتماء في اللغة: مأخوذ من نما ينمو، والمصدر: انتمى، بمعنى: انتسب [١]، نقول: الباحث معروف بانتمائه إلى مصر. أي: بانتسابه إليها. وفي المعجم الفلسفي [٢] الانتماء هو العلاقة المنطقية (الوطيدة) بين الفرد وبني جنسه.

والانتماء كظاهرة اجتماعية يمكن تعريفه بأنه: النزعة (النفسية) التي تدفع الفرد للدخول في مكونات إطار اجتماعي فكري معين والالتزام بثوابت وقيم ومعايير وقواعد هذا الإطار ونصرته والدفاع عنه في مواجهة غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى [٣].

والانتماء للوطن هو إحساس فطري داخلي يولد عند صاحبه معاني حب الوطن والاعتزاز به والتضحية في سبيله، والعمل على رفعة شأنه،

(١) راجع مادة (نما) في لسان العرب.

(٢) المعجم الفلسفي - جميل صليبا - الشركة العالمية للكتاب - بيروت ١٩٩٤م.

(٣) د/ نجلاء راتب - الانتماء الاجتماعي - مركز المحروسة للنشر - القاهرة ي١٩٩٩م.

والتعامل مع جميع أفراده والإخلاص لقياداته، والمحافظة على ثرواته ومكتسباته، وحماية أمنه وسكينته، إنه باختصار شديد الارتباط بالأرض وبالتراب الوطني.

والانتماء للوطن كقيمة أخلاقية فطرية ينمو ويضعف بحسب المؤثرات المحيطة بالفرد ونحن نرى أن النقد الاجتماعي غير المسئول على النحو الذي أشرنا إليه من الأسباب المؤدية إلى ضعف الانتماء للوطن وفقدان الولاء له.

المبحث الرابع
موقف الإسلام من ظاهرتي الشائعات المغرضة والنقد الاجتماعي غير المسئول

غني عن البيان أن المشرع الإسلامي الحكيم، بقدر ما أعطى المسلم من حرية في التعبير والسلوك، بقدر ما أقام هذه الحرية على قاعدة رصينة هي قاعدة المسئولية؛ المسئولية عن الإثارة، المسئولية عن الإساءة، مسئولية الصدق في الكلمة، مسئولية النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، مسئولية اجتناب الظن بالآخر، مسئولية اجتناب الغيبة والنميمة والسخرية والفخر واللمز والتنابذ بالألقاب وتحريف الكلم عن مواضعه.

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة عشرات بل مئات النصوص الدالة على أنواع المسئولية عن الكلمة، والموجهة إلى تهذيب اللسان في كل ما ينطق به، ومن هذه النصوص على سبيل المثال لا الحصر:

١- قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آية ١٠٤ آل عمران].

٢- قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [آية ١٢٥ النحل].

٣- قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [آية ٤٤ طه].

٤- قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [آية ٢٤ الصافات].

٥- قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [آية ٧ الجاثية].

٦- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا

مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [آية ١١ الحجرات].

ومن الأحاديث النبوية على سبيل المثال لا الحصر:

١- قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر".

٢- وقوله عليه الصلاة والسلام: "الدين النصيحة".

٣- وقوله عليه السلام: "إياكم والظن فإن الظن اكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا".

٤- وقوله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت".

٥- وقوله عليه الصلاة والسلام: "أمسك عليك لسانك.. ".

٦- وقوله صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع" (أخرجه أبو داود في كتاب الأدب).

وبعد فإن ما أوردناه من آيات الذكر الحكيم ومن الأحاديث النبوية الموجهة إلى تهذيب اللسان وتحميل صاحبه لكامل المسئولية عما ينطق به، إنما هو قليل من كثير على مجموعة من الحقائق أهمها:

أن المشرع الإسلامي يرفض الإثارة بجميع أشكالها، كما يرفض الكذب وقول الزور، والإفك، والسخرية من الآخر وسبه ولعنه واتهامه بالكفر.

أن المشرع الإسلامي يرفض اختلاق الشائعات وترويجها، ويعالج الشائعة معالجة إعلامية رائعة بالطلب إلى المصدر الرسمي بأن يفندها ويرد عليها للقضاء عليها في مهدها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ

أَذَاعُوا بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [آية ٨٣ النساء]، (فالأمر) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ ﴾ هو موضوع الشائعة، وقوله تعالى: ﴿ أَذَاعُوا بِهِۦ ﴾ نعي على أولئك النفر المبادرين إلى نشر وإذاعة وترويج الشائعة وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ توجيه إلى ضرورة وجود المصدر الرسمي الذي ترد إليه الشائعة ليتبين مضمونها وأهدافها ويتولى فضح أمرها أمام الرأي العام، وإذا كان الرد حقيقة في إرجاع كل شيء إلى ما كان عليه، فإنه قد استعمل هنا مجازاً في إبلاغ الخبر إلى أولي الأمر من حيث إنهم أولى الناس بعلمه وبما ينبغي ومالا ينبغي أن يفشى وأن يكتم من الخبر.

والآية الكريمة عتاب للمؤمنين في التسرع بإذاعة الأخبار وأمر لهم بإنهائها إلى المسئولين لكي يضعوا كل خبر في موضعه ويحملوه محامله [1]، وقوله تعالى: ﴿ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ إشارة إلى أهداف الشائعة وآثارها، وإلى أن أقصى أماني الشيطان منها هو الضلال والفرقة والتناحر بين أفراد المجتمع الذي تستهدفه الشائعة.

وإلى ضرورة وجود المصدر الرسمي وأهمية دوره في فضح الشائعة وبيان أهدافها للرأي العام ما تقصه علينا الآيات البينات من ١١ - ١٨ من سورة النور من شائعة الإفك التي اتهمت فيها أمنا أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بالبهتان العظيم، وقد وقعت أحداث هذه الشائعة في طريق عودة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من غزوة بني المصطلق، وانبرى عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بالمدينة إلى نشر وكبر هذه الشائعة،

---

(١) راجع بتصرف: التحرير والتنوير، ج٥، ص١٤٠.

وتورط في نشرها من غير المنافقين نفر من المؤمنين والمؤمنات، وراحت الشائعة تنتشر وراح وقعها يشتد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى الصديق أبي بكر وآله حتى قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الناس يخطبهم ويقول لهم: "ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت منهم إلا خيراً" وظل حديث الإفك هو الشغل الشاغل لكل أهل المدينة، وقد تفاوتت ا لمواقف منه بين الناس ما بين مكذب للحديث وما بين شاك في وقوعه وما بين متورط فيه، وامتد لهيب الشائعة حتى كاد أن يوقع فتنة بين الأوس والخزرج وذلك عندما قال الرسول لصحابته: "من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي" وهو يعني عبد الله بن أبي بن سلول، وقد كان من الخزرج، فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله: أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من الخزرج أمرتنا فنفذنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وقد أخذته الحمية فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمرو الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك. فقام أسيد بن حضير فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمرو الله، والله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، وعند ذلك ثار الحيّان: الأوس والخزرج ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - واقفاً على المنبر، مطالباً الجميع بالهدوء والسكينة حتى سكت الناس وهدأت الفتنة.

وقد ظلت المحنة ما يزيد على الشهر، وأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - لا تجد وسيلة لبراءتها إلا البكاء وقراءة قوله تعالى: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[آية ١٨ يوسف]، ومع اشتداد المحنة ببيت النبوة جاءت براءة عائشة - رضي الله عنها - في ثماني آيات تتلى إلى يوم القيامة من سورة النور.

وكأن هذه الآيات تحمل توجيهاً إلى أمة الإسلام بضرورة وجود ناطق

(مصدر) رسمي يتصدى لفضح حقيقة الشائعات المغرضة، والرد عليها في الوقت المناسب قبل أن تحقق أهدافها. وهكذا يمكننا أن ننتهي إلى القول:

بأن المشرع الإسلامي الحكيم يرفض الإثارة ويرفض اختلاق ونشر الشائعات المغرضة، ويوجه إلى ضرورة وجود المصدر الرسمي لكشفها والرد عليها.

موقف الإسلام من النقد الاجتماعي غير المسئول:

إنه إذا كان النقد الاجتماعي غير المسئول لا يهدف إلا مجرد الجدل والحوار والوصف، فإن القرآن الكريم يضع له حدوداً وآدابا، تحتم عدم الزج به إلى حب الاستعلاء أو إلى الطعن في السلوكيات الشخصية، قال تعالى: ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [آية ٢٥ سبأ].

وإن كان النقد الاجتماعي يهدف إلى الإصلاح، فإننا نرى أن المشرع الإسلامي يقره ويدعمه شريطة أن يأخذ طابع الحوار العاقل باعتباره الطريق الأمثل للتوصل إلى حل المشكلة الراهنة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [آية ٢٥١ البقرة]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [آية ٤٠ الحج].

أما إذا كان النقد الاجتماعي غير المسئول منساقا وراء شائعات مغرضة ومناصرا لها، وداعما إياها، وساعيا نحو تحقيق أهدافها، ومركزاً على إثارة وتهييج الرأي العام وبلبلة أفكاره وزعزعة ثوابته وقيمه، وقاصرا على التهكم والسخرية والغمز و اللمز والغيبة والنميمة، ومنطويا على بذاءة اللسان وتجريح الأعراض وخدش سمعة المجهولين، فإن المشرع الإسلامي الحكيم لا يقره بل ويتوعد مرتكبه عليه، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾، وقال

عز وجل: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ ﴾، وقال عز من قائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [آية ٥٦ النحل].

التوصيات

١- يقترح البحث التوصية إلى وسائل الإعلام الوطنية بالالتزام بالمصداقية، وتجنب الاستخفاف بعقول الناس حتى تتمتع بالثقة بين المواطنين.

٢- يقترح البحث التوصية إلى وسائل الإعلام الوطنية بإنتاج رسائل إعلامية قصيرة للتحذير من مغبة الوقوع في النقد الاجتماعي غير المسئول انسياقاً وراء الشائعات.

٣- يقترح البحث التوصية بالامتناع عن التعتيم على الأحداث الجارية وعلى أهمية وضرورة تولي المصدر الرسمي المسئول الرد على الشائعات فور انتشارها.

قائمة بأهم المراجع المباشرة

١- جميل صليبا - المعجم الفلسفي - الشركة العالمية للكتاب - بيروت ١٩٩٤م.

٢- دنيس مكويل - الإعلام وتأثيراته - تعريب د/ عثمان العربي - دار الشبل - الرياض ١٤١٢هـ.

٣- أ. د/ سيد محمد الشنقيطي - دور وسائل الإعلام في بناء ملكة التفكير السديد لدى الطلاب - دار الفضيلة - الرياض ١٤٢٢هـ.

٤- د/ عبد الله الطويرقي - صحافة المجتمع الجماهيري - مكتبة العبيكان - الرياض ١٩٩٧م.

٥- الشيخ / عطية محمد سالم - موقف الأمة من اختلاف الأئمة - دار الجوهرة بالمدينة المنورة - ط١ - ١٤٢٦هـ.

٦- أ. د/ عقيل حسين عقيل - منطق الحوار بين الأنا والآخر - دار الكتاب الجديد - ليبيا ٢٠٠٣م.

٧- فارس أشتى - الإعلام العالمي (مؤسساته، طريقة عمله - قضاياه) مكتبة بيروت - لبنان ١٩٩٦م.

٨- الإسلام وتطوير الخطاب الديني - رابطة الجامعات الإسلامية - سلسلة فكر المواجهة (٣) - ١٤٢٣هـ.

٩- مجلة البيان - الرياض - العدد ٢٥٢.

١٠-أ. د/ محمد بن دغش القحطاني - الإشاعة وأثرها على أمن المجتمع - دار طويق - الرياض ١٤١٨هـ.

١١-د/ محمد سيد محمد - المسئولية الإعلامية في الإسلام - مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٠٣هـ.

١٢-د/ محمد بن عبد الله السلومي - ضحايا بريئة للحرب العالمية على

الإرهاب - كتاب البيان - العدد ٦٣ - ط١ - ١٤٢٦هـ.

١٣-د/ محمد عبد القادر حاتم - الإعلام والدعاية - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٨م.

١٤-د/ محمد علي العويني - الإعلام العربي - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٩م.

١٥-د/ محمد فوزي عبد الحميد - نحو اتصال دولي جديد - دار عكاظ - جدة.

١٦-د/ محمد نصر مهنا - الإعلام العربي في عالم متغير - المكتبة الجامعية - القاهرة ١٩٩٧م.

١٧-د/ محمود حمدي زقزوق - الإسلام والغرب - مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة ١٤٢٦هـ.

١٨-د/ محي الدين عبد الحليم - الدعوة الإسلامية والإعلام الديني - دار الفكر العربي.

١٩-د/ نجلاء عبد الحميد راتب - الانتماء الاجتماعي - مركز المحروسة للنشر - القاهرة ١٩٩٩م.

فهرس المحتويات

تمهيد: في تحديد مصطلحات البحث وفكرته ومحاوره ٢٨٧
أولاً: الشائعة (الإشاعة)..... ٢٨٨
ثانياً: الشائعة المغرضة ٢٩٠
ثالثاً: الإذكاء ٢٩٠
رابعاً: النقد الاجتماعي والنقد الاجتماعي غير المسئول..... ٢٩١
خامساً: التطرف والإرهاب..... ٢٩٢
فكرة البحث ٢٩٣
المبحث الأول: الشائعات المغرضة ٢٩٥
المبحث الثاني دور الشائعات المغرضة في إذكاء النقد الاجتماعي غير المسئول..... ٣٠٤
أولاً: النقد الاجتماعي غير المسئول على مستوى الأسرة..... ٣٠٦
ثانياً: النقد الاجتماعي غير المسئول على مستوى المدرسة والجامعة ٣٠٩
ثالثاً: ولا يقف النقد الاجتماعي غير المسئول ٣١٠
المبحث الثالث أثر الشائعات المغرضة والنقد الاجتماعي غير المسئول على تجذير منابع فكر التطرف والإرهاب..... ٣١١
النقد الاجتماعي غير المسئول والتطرف الفكري..... ٣١٣
النقد الاجتماعي غير المسئول وحق الاختلاف في الرأي..... ٣١٤
شتان بين النقد والانتقاد ٣١٥
شتان بين الاختلاف والمخالفة ٣١٦
النقد الاجتماعي غير المسئول وإضعاف الانتماء الوطني ٣١٧
المبحث الرابع موقف الإسلام من ظاهرتي الشائعات المغرضة والنقد الاجتماعي غير المسئول ٣١٩
موقف الإسلام من النقد الاجتماعي غير المسئول ٣٢٣
التوصيات..... ٣٢٥
قائمة بأهم المراجع المباشرة ٣٢٦
فهرس المحتويات..... ٣٢٨